

الجامعة الإسلامية وصداها في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي

د. قبائلي هواري *

الملخص:

لقد ساهمت ظروف العالم الإسلامي الحرجة والصعبة في نهاية القرن التاسع عشر من جراء استهدافه من طرف الأطماع القوى الإستعمارية الأوروبية، وضعف الدولة العثمانية في ظهور علماء ومصلحين نادوا بوجوب وحتمية الإصلاح ، ولعل من أبرز هؤلاء المصلحين جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده ، حيث ناد هؤلاء بوجوب تكاثف جهود المسلمين في ظل وحدة سياسية تحت راية الخلافة العثمانية، لرد أطماع القوى الإستعمارية، كما ناد بوجوب الإصلاح الديني ومحاربة الجهل والبدع والخرافات وكل أشكال الفرقة والانقسام ما بين المسلمين، ولقد لقيت الفكرة تأييدا كبيرا من طرف السلطان عبد الحميد، حيث رأى فيها فرصة لتدعيم ملكه ، والقضاء على خصومه، وفرض نفسه خليفة على كل المسلمين، ولذلك قرب إليه المصلح الشيخ جمال الدين الأفغاني وروج لفكرة الجامعة الإسلامية ، وكان لزاما أن تستهوي الفكرة جموع العرب والمسلمين ، وبالأخص الشعوب التي كانت ترزح تحت نير الإستعمار.

وكان الجزائريون ينتهزون فرص الاحتكاك بالآخر وهي فرص قليلة جدا، لا تتوفر إلا في رحلة الحج، للسؤال عن الأحوال في الشرق، شعورا منهم بالانتماء إلى كيان إسلامي واحد موحد، وكذلك إيماننا منهم بأن الخلاص والافتكاك من غبطة الاستعمار، ربما يكون قادمًا من الشرق، وكان الأمل في السلطان العثماني في إعادة تحرير الجزائر.

الكلمات المفتاحية: الجزائريون؛ الإستعمار الأوروبي؛ الدولة العثمانية؛ الجامعة الإسلامية.

*-أستاذ باحث في التاريخ الحديث والمعاصر بقسم التاريخ، جامعة معسكر، ورئيس فرقة بحث في مخبر

مصادر وتراجم، جامعة وهران 1، الجزائر

Abstract:

At the end of the 19th century The position and circumstances of the Islamic world were critical and very difficult due to Europeans colonialism agressions, and of course the weakness of the Ottoman Califat. This weakness was a consiquance of centries of under developement, pooverty, egnorance and desolution wicth cover all parts of this large world.

At that times many scholars and reformers guided a mouvements of reforms and proclame the necessity and inevitability of change. Perhaps the most prominent of these reformers were Jamal al-Din al-Afghani and his disciple Sheikh Muhammad Abdo, The efforts of the Muslims should be intensified under the political unity of the Ottoman caliphate called Islamic League. This Islamic Reform movement had to fight the ambitions of the colonial powers, and also fight ignorance, fanaticism and superstition and all forms of divisions among Muslim community.

In Algeria which were a french colony, Abdul Hamid IbnBadis later ,and many other Algerians were influenced by this movement, they try to consolidate the relationships with other muslims during the peligrimage to Macca, they were one of the powerful schohlers movents that fight the french colonial.

Key words : the french coloniali; Abdul Hamid IbnBadis; Muslim community; the Ottoman caliphate.

مقدمة:

لقد ساهمت ظروف العالم الإسلامي الحرجة والصعبة في نهاية القرن التاسع عشر من جراء استهدافه من طرف الأطماع القوى الإستعمارية الأوروبية، وضعف الدولة العثمانية في ظهور علماء ومصلحين نادوا بوجوب وحتمية الإصلاح ، ولعل من أبرز هؤلاء المصلحين جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده ، حيث ناد هؤلاء بوجوب تكاتف جهود المسلمين في ظل وحدة سياسية تحت راية

الخلافة العثمانية ، لرد أطماع القوى الإستعمارية ، كما ناد بوجوب الإصلاح الديني ومحاربة الجهل والبدع والخرافات وكل أشكال الفرقة والإنقسام ما بين المسلمين ، ولقد لقيت الفكرة تأييدا كبيرا من طرف السلطان عبد الحميد، حيث رأى فيها فرصة لتدعيم ملكه ، والقضاء على خصومه ، وفرض نفسه خليفة على كل المسلمين ، ولذلك قرب إليه المصلح الشيخ جمال الدين الأفغاني وروج لفكرة الجامعة الإسلامية ، وكان لزاما أن تستهوي الفكرة جموع العرب والمسلمين ، وبالأخص الشعوب التي كانت ترزح تحت نير الإستعمار. لقد تم تداول المصطلح الفرنسي "الجامعة الإسلامية Panislamisme" لأول مرة في الصحافة الفرنسية¹ سنة 1881 وكان يستغل دائما كبعبع، لتهييج الرأي العام، وكسر شوكة دعاة الإصلاح والوطنيين، ومنذ البداية تم التحذير والتهويل من مهمة المدعو "خليفة جعفر"، الذي كلف من طرف السلطان عبد الحميد بالدعاية لفكرة الجامعة الإسلامية، وذلك إن صحت الرواية من أساسها، وكذلك تمت المبالغة في التهويل من نشاط وخطر الطريقة السنوسية أكثر مما ينبغي، عبر شيخها الذي كان يتنبأ بنهاية الحكم "الرومي" على يد الخليفة العثماني². أما مصطلح "Turcophilie" فقد استعمله ولأول مرة الباحث "ديبارمي Désparmet"، لكن أول من حذر من أفكار وخطر الجامعة الإسلامية هم الانجليز على إثر أحداث "الدانشواي" وتقرير كرومر، الذي تناقلته الصحف الأوروبية: "لوتون Le temps" و"روفي أنيداجن Revue indigène" ويشهد ديبارمييه نفسه أن بيع الجامعة الإسلامية خيال أكثر منه حقيقة، واعتبره المستعرب "لوشاتولييه Le Chatelier" أن الجامعة الإسلامية كانت شماعة يعلق عليها الإخفاق السياسي.

كما ذكرت جريدة "لوطان"، أنه من غير الممكن نجاح مشروع الجامعة الإسلامية، نظرا لتنوع الطرق الصوفية وتعدد الأجناس والمذاهب³، زاد على ذلك خيبة أمل الجزائريين في رجال تركيا الفتاة، وقهرهم للقوميين العرب، وكذلك هالهم وأدهشتهم الثورة العربية ضد الأتراك، كل ذلك ولد لديهم شكوكا كبيرة في هذا المشروع، وإضافة إلى أنه كان من المتعذر أن يؤثر الخطاب الديني المعتمد لدى دعاة

الجامعة الإسلامية في أعضاء البعثة الجزائرية الذين كان يتسم أكثرهم بالأمية، ولا يفهم جلهم الخطاب بالعربية الفصحى، ويستعصى حتى على بعض المتعلمين الذين كانوا لا يستطيعون استيعاب خطابات زعماء ودعاة الجامعة الإسلامية.

1- أفكار الجامعة الإسلامية وصداها في الجزائر قبل الحرب العالمية الأولى

والحقيقة أن الجزائريين كانوا ينتهزون فرص الاحتكاك بالآخر وهي فرص قليلة جدا، لا تتوفر إلا في رحلة الحج، للسؤال عن الأحوال في الشرق، شعورا منهم بالانتماء إلى كيان إسلامي واحد موحد، وكذلك إيماننا منهم بأن الخلاص والافتكاك من غبطة الاستعمار، ربما يكون قادما من الشرق، وكان الأمل في السلطان العثماني في إعادة تحرير الجزائر.

ففي 1857 وبعدما رست سفينة الحجاج في اسطنبول، ولا ندري تحت أي ظروف سمح لهذه السفينة بالرسو هناك، أجرى الباشا المقراني اتصالات مع كبار المسؤولين هناك من أصول جزائرية، والذين وعدوه بإقناع السلطان العثماني بوجوب تحرير الجزائر⁴، هذه الحادثة تثبت صدق مخاوف الإدارة الاستعمارية من الحج، ولذلك سعت هذه الأخيرة لمحاصرة الحاج والتضييق عليه قدر الإمكان، وتحديد مساره بشكل دقيق، منذ خروجه من بيته حتى وصوله إلى ميناء جدة، لكن بقيت فترة مكوث الحاج في الحجاز تشكل للإدارة الاستعمارية أرقا وقلقا دائمين، لصعوبة مراقبته هناك بشكل رسمي، لكن كما ذكرنا، أوعزت لبعض العملاء الذين كانوا يلبسون ثوب الحاج، لكن لغايات ونوايا أخرى، حيث كانوا يذهبون في مهمات رسمية لمراقبة الحجاج، ليضعوا تقارير مفصلة بجميع مشاهداتهم عن أفراد البعثة وعن الأحوال في الحجاز من جميع الجوانب.

ذكرت بعض التقارير أن بعض الحجاج كانوا يحاولون في هذه الرحلة الحصول على أسلحة ومعدات، ليس بالضرورة للتحضير لثورة على السلطة الاستعمارية، ففي سنة 1857 ضبط مع بعض الحجاج الجزائريين أسلحة مخزنة بعناية في بعض الزمزميات، وهي أواني يعبأ فيها عادة ماء زمزم، لكنها كانت معبئة بدل ذلك بمادة البارود، حيث تمت مصادرة حوالي 45 كلغ من البارود ومائتي

مسدس من حجاج قادمين من تونس على متن السفينة "Valéry"⁵ رغم أنه في تلك السنة منع الحج في الجزائر بشكل رسمي.

هذا الحادث جاء في ظرفية جد خطيرة كانت تشهدها الجزائر والعالم، حيث احتدمت المقاومات الشعبية في الجزائر خاصة بعد ثورة المقراني سنة 1871، وثورة الجنوب الوهراني 1881، ولذلك تطور وزاد ذلك الهوس والارتباب والخوف اتجاه الإسلام وكل الممارسات الدينية، عبر على ذلك الحاكم العام "غريفي Grévy" قائلا: "لا تتناسوا أنه قد يحدث أثناء موسم الحج ازدياد تعصب الأهالي، كما أن البعض منهم ينتهزون الفرصة لاعتناق مذاهب والانضمام إلى طرق تحمل أفكارا وعقائد معادية لوجودنا، وذلك عبر الاتصال ببعض المشوشين اللاجئين إلى الدول الإسلامية الواقعة شرق الجزائر"⁶، وقام بوضع قيود كبيرة على الحجاج، لمنع اعتناق مذاهب وأفكار مناوئة للمصالح الفرنسية، وتكرر المنع سنة 1882 بسبب ثورة أحمد عرابي في مصر، كما جاء في تقرير رسمي دعم هذا المنع بسبب "خطر خلق مئات الثائرين على شاكلة الشيخ بوعمامة"⁷.

والغريب أن فرنسا، وفي تناقض تام، أرادت الظهور بمظهر المدافع عن الإسلام، وذلك أثناء حرب القرم، بعدما شكلت جيشا سمته بجيش الشرق بقيادة الجنرال "بيليسيه Pélissier"، ودعت لتطوع الجزائريين لمؤازرة السلطان ضد الأطماع والخطر الروسي، حتى وصل تعداد المتطوعين الجزائريين حوالي ألفي جندي⁸ وتفاعل الجزائريون مع الحدث فجادت قريحة شعرائهم بتمجيد السلطان العثماني والدعاء بانتصاره في هذه الحرب، على غرار أشعار "محمد بن إسماعيل" وأشعار "محمد سعيد" حول الجامعة الإسلامية⁹.

وحتى في سنوات تنظيم مواسم الحج كانت السلطات الاستعمارية تريد أن يكون الأمر بشكل دعائي بالظهور بمظهر المدافع عن حقوق المسلمين وحياتهم الدينية، وزاد من ذلك تعاظم أهمية منطقة الحجاز في المعادلة الدولية، وكذلك للتواجد في الحرمين بطريقة أو بأخرى، وذلك لمحاصرة أفكار الجامعة الإسلامية¹⁰، ومراقبة بعض المجاورين من أصول جزائرية، ممن كانت تعتبرهم فرنسا

بالمشوشين ، على غرار "عبد العزيز بن الشيخ الحداد" الذي تم نفيه إلى كاليدونيا إلا أنه استطاع الهروب من هناك وأصبح يتردد على الحرمين، وتولت عيون القنصلية الفرنسية مراقبته هناك¹¹.

وكانت فرنسا تخشى من لقاء الحجاج الجزائريين، بالمهاجرين الجزائريين المتجنسين بالجنسية العثمانية، حيث يتم تلقينهم أفكار قد تكون مضرّة بالمصالح الفرنسية بالجزائر، وكذلك الخوف من زيارات الشخصيات والعلماء المشاركة من أصول جزائرية لمواطن أجدادهم على غرار زيارة "محمد بيرم" سنة 1878، و"عبد العزيز الثعالبي" و"أبو حامد المشرفي"، وشيوخ الطرق الصوفية مثل "عبد السلام الوزاني"، و"الحسن الغسال"، واستقرار الأخوة "رودوسي" وزيارة الشيخ "طاهر الجزائري" و"سليمان الباروني" الذي درس في ميزاب على يد الشيخ "محمد بن يوسف أطفيش"¹²، وزيارة الشيخ "محمد الخضر حسين" الذي تولى مشيخة الأزهر وهو من أصول طولقية قام بزيارتين للجزائر، وحكى عن هذه الزيارة في كتابه "السعادة العظمى"، كما أسس جمعية لمساعدة الجالية المغاربية وندد بأوضاع الشعوب المغاربية¹³.

وكانت قد سبقت كل هذه الزيارات زيارة محمد عبده إلى الجزائر سنة 1903، والتي كانت منتظرة على رغم أنها كانت مخيبة للآمال في نظر الكثيرين من أتباعه. ويبدو أن هذه الزيارات زادت من الشك والارتياب، باعتبار كل مسلم أجنبي يضبط في التراب الجزائري، عميلا للطريقة السنوسية أو مروجاً لأفكار الجامعة الإسلامية¹⁴.

كما راجت أخبار عن وجود منظمة سرية مقرها القيروان، في تونس تساعد على تهريب الجزائريين من بلادهم بدعوة أنهم مضطهدون غير أحرار، وفي رسالة من قنصل فرنسا بجدة للرئيس مؤرخة في 29 أبريل 1882، تحدث على عدم اعتماد المنع، لكي لا تستغل هذه المنظمة الأمر في دعايتها المروجة لأفكار الجامعة الإسلامية¹⁵، كما روج البعض أن هذه المنظمة اتصلت بالقنصل الإيطالي وبشيخ

الإسلام، عبر جمعية القضاة والباش عدول، لكن العارفين بالأمر أكدوا أنه لا يعدو أن يكون مجرد قصة مفبركة للتخويف من خطر أفكار الجامعة الإسلامية لا غير¹⁶. ولكن ما هو مؤكد أنه تم اعتقال وفد قبرصي تركي، يضم 18 رجلا وامرأة بتهمة نشر أفكار الجامعة الإسلامية، وأفكار أخرى معادية لفرنسا، كانوا ينتقلون عبر الجنوب بدعوى شراء الإبل، وكانوا أينما حلوا يستقبلون بحفاوة وتقديس كبيرين¹⁷. كما حظيت زيارة الشيخ "صالح الشريف الزواوي" باهتمام كبير من طرف السلطات الاستعمارية بعدما تنقل بين عواصم عربية عديدة قبل أن يحط الرحال بالجزائر، ووصف بأنه من أبرز دعاة الجامعة الإسلامية.

ولقد ساهمت سياسة عبد الحميد الإصلاحية، إضافة إلى الثورات الشعبية في الجزائر، واندونيسيا والهند، في الانتشار "غير المفهوم والكبير والمخيف" للإسلام حسب الوصف الأوربي في إفريقيا السوداء، الذي تزامن مع الحملات الاستعمارية، كل هذه العوامل أدت بالقوى الغربية إلى توخي الحذر في تعاملها مع الحج¹⁸، هذا ما عبر عنه بروناس قائلا:

"Jusqu'en 1902, il était de tradition de considérer le pèlerinage à la Mecque comme funeste à notre action dans l'Afrique du nord, estimaient que nos sujets algériens ne se rendaient à la Mecque que pour y faire provision de fanatisme religieux."¹⁹

"حتى سنة 1902 كان من المعتاد اعتبار الحج إلى مكة مضرا بمهمتنا في الشمال الإفريقي، باعتبار أن رعايانا الجزائريين لا يذهبون إلى الحج إلا من أجل التعبئة بالتعصب الديني".

هذا لا يعني أنه بعد سنة 1902 تبددت هذه النظرة، لأن صاحب المقال كتب مقاله في بداية القرن العشرين، وزاد من ذلك تحذيرات قناصلة فرنسا في الحجاز، حيث أوصى القنصل بإنشاء خطوط تلغرافية بين ينبع والحرمين قصد تتبع أخبار الحجاج أولا بأول²⁰.

وصورة الشك على ما يبدو وصلت إلى حد إعتبار أي حاج هو داعية للجامعة الإسلامية، بموجب اتصاله هناك بالمسلمين من جميع البقاع، وتصوير الحاج بعد رجوعه بصورة "داعية متعصب ينتقل من دائرة لأخرى ومن زاوية لأخرى ليحرض

ضد فرنسا الحاملة لراية التمدن والحضارة"²¹. ووصل التعصب مداه باعتبار كل مظاهر الحج من محمل، وركب، وصرة، ومراسيم ذبح الأضاحي، والأركان كلها داعمة لفكرة الجامعة الإسلامية²².

ولكننا لا نظن أن هذه التأثيرات والأفكار القادمة من المشرق لم تكن تشكل خطرا على المصالح الفرنسية في الجزائر، غير أن السلطات الاستعمارية بالغت في تصوير هذا الخطر حتى أصبح هاجسا يورق المسؤولين الفرنسيين، فالتأثيرات وأفكار الجامعة الإسلامية وأفكار النهضة والإصلاح. امتدت إلى الشمال الإفريقي، وظهر ذلك جليا في بدايات العمل السياسي، والنضال عبر حركات الشبان المسلمين، والعمل الصحفي وظهور المسرح، والرواية، والعمل النقابي، وظهور الجمعيات والنوادي التي لا تخلُ من تأثيرات شرقية، مثل الراشدية، والتوفيقية في العاصمة، وصالح باي، والجمعية الإسلامية في قسنطينة، والهلال والنادي الشرقي في عنابة، وودادية العلوم الحديثة في خنشلة، وأخوية معسكر والجرائد مثل اللواء المصباح، الراشدي، الحق، كلها كانت ظواهر جديدة تحمل طابعا مشرقيا متأثرا بالفكر الإصلاحي هناك²³.

هذا بغض النظر عن تسلل الصحف المشرقية المصرية بالخصوص إلى الجزائر عبر المشرق في غالب الأحيان، والتي كانت تدخل في حقائب الحجاج، وحتى جريدة الترجمان التي كان يصدرها المصلح التتري القرمي "إسماعيل غارسرينسكي" كانت تقرأ في الجزائر، والتي كانت تحمل فكرا إصلاحيا نهضويا جديدا مناهض للإسلام الطرقي الرسمي²⁴، هذا إضافة إلى بعض الجرائد التي كانت تنعت بالخطيرة والمضرة بشكل مباشر بالمصالح الفرنسية، كجريدة المهاجر، التي كان يشرف عليها جزائري في الشام اسمه "محمد شحاته الجزائري" ويملكها في الحقيقة حفيد الأمير عبد القادر "الأمير علي" والذي كان يكتب فيها بشكل دوري، وكانت تدعو جهارا إلى أفكار الجامعة الإسلامية، وتحت على الهجرة إلى الشام، في وقت انتظم فيه بعض الجزائريين لخدمة إخوانهم المهاجرين إلى الشام والمشرق حديثا على غرار "الصديق الحسيني الجزائري" من مدينة سطيف، الذي كان مثقفا يحسن اللغة العربية

والفرنسية جيداً²⁵، كما أن جريدة الجامعة الإسلامية لصاحبها الشيخ "الفاروقي"، كانت لها مقالات لاذعة ضد فرنسا وبريطانيا وكانت متداولة بين الحجاج.

كل هذه الأجواء المشحونة والمعبئة تعبر عن مخاض عسير كان يمر به المشرق المهدد بفعل الأطماع الاستعمارية، والمرض المزمن الذي كان يعاني منه "الرجل المريض" الذي كان بحاجة إلى إصلاح فوري، كذلك وطأة الاستعمار وتسلمته على الشعب الجزائري، مع فشل كل الثورات الشعبية كل ذلك جعل الجزائريين يؤمنون ويروجون إلى فكرة الخلاص، والتي كانت تتمثل في قدوم جيوش مسلمة من الشرق، بقيادة السلطان العثماني لتحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي، رغم المحاولات الأخيرة في بداية القرن عبر ثورة عين التركي 1901، وثورة عين بسام واتهام أفكار الجامعة الإسلامية مرة أخرى بأنها كانت وراء ذلك²⁶.

وفي سنة 1906 زارت باخرة عثمانية ميناء الجزائر، وصعد بعض الجزائريين على متنها، وطلبوا من الضباط الأتراك تسريع قدوم السلطان العثماني لتحرير الجزائر²⁷، كأنهم كانوا واثقين ولم يقطعوا حبل الأمل في قدوم السلطان العثماني لنجدهم وكأنها مهمة دينية واجبة وحتمية لا مناص منها.

ولقد ساهمت الثورة التركية سنة 1908 في انتشار الوعي القومي في الوطن العربي، وبدأ معها تأسيس الجمعيات العربية التي كانت تؤرق القوى الاستعمارية خاصة بتأكيد قنصلية فرنسا على الوجود الدائم لهذه الجمعيات في الحرمين، كما لاحظ المستشرق الهولندي "سنوك هيرغرنج" أن تأثيرات ودعاية الجامعة الإسلامية، والشعور القومي العربي، ومبادئ الوطنية، وحتى الدعاية الشيوعية التي كان يتحمس لها بعض الحجاج من أندونيسيا، كلها تؤثر سلباً على الحجاج وخاصة المقيمين هناك لفترات طويلة²⁸.

ولهذا جاءت تحذيرات بعض المسؤولين بوجوب منع الحج بشكل دائم، فهذا الجنرال "برايليير Braéllière" في رسالة إلى الحاكم العام سنة 1912، يبرر وجوب المنع لأسباب عدة حسب زعمه، منها انتشار الأوبئة والأمراض والأحداث في المغرب وتونس والدولة العثمانية²⁹، وقد سبقه تقرير آخر سنة 1902 حذر من التحرك الحربي دون

مراقبة لركبان الحجاج في الجنوب، ومما يمكن أن يشكله ذلك من خطر، وخطورة تجاوز منطقة فزان والنزول في زوايا الطريقة السنوسية³⁰.

وزاد خوف الإدارة الاستعمارية من حركة الإصلاح ونشاطات الجامعة الإسلامية، بعدما خصص الأزهر حوالي ثلاثة عشر مليون كتاب إلى بلدان الشمال الإفريقي، والتي رأت في ذلك محاولة لغزو العقول وضرب المصالح الفرنسية، كما هالها تعاطف الجزائريين مع إخوانهم الليبيين أثناء الحرب الليبية الإيطالية، بعدما قاموا بجمع تبرعات لصالح الجرحى الليبيين والثوار، في وقت شهدت فيه العديد من المناطق في الجزائر مناوشات وتحرشات بين جزائريين وأوربيين من أصول إيطالية، خاصة في بجاية وعنابة، كما تم تعليق منشورات بمقاطعة الإيطاليين والتظاهر أمام سفارتهم³¹.

2- فكرة الجامعة الإسلامية أثناء الحرب العالمية الأولى

لقد عرفت أفكار ودعاية الجامعة الإسلامية أثناء الحرب العالمية الأولى أقصى تجلياتها، إلا أنها سوف تعرف محدوديتها وبداية أفولها مع نهاية الحرب. ولكن ما مدى جدية اعتبار المؤرخ الكبير أبو القاسم سعد الله لأفكار الجامعة الإسلامية، بأنها غيرت فحوى الصراع من صراع وطني إلى صراع إسلامي، عربي أوربي؟ فخصوصيات المشهد الجزائري تشير إلى محدودية هذه الفكرة، وعدم موافقتها للمثال اللانمطي الذي تشكله الجزائر، لكن في نفس الوقت، لا ينبغي نفي تفاعل الجزائريين مع الأحداث في المشرق، وانتصارهم لقضايا الأمة، ولذلك حسب رأيي المتواضع وجب دراسة كل فئة على حدى، فالفئة المثقفة والنخبة لم تكن بالضرورة تتقاسم نفس أفكار باقي الفئات الأخرى، حتى أن البعض منهم جندوا قواهم وأفكارهم لخدمة فرنسا.

ويشهد على هذا الفتور من خلال الاستجابة القليلة جدا، لفتوى شيخ الإسلام في أكتوبر 1916 الذي دعى إلى وجوب انتفاضة الشعوب الإسلامية ضد القوى الاستعمارية الحاكمة، رغم مصادرة بعض المناشير التحريضية الموقعة من طرف "سليمان الباروني" في بن قردان والجنوب القسنطيني³²، لكن في نفس

الوقت لم ينضم إلى صفوف القوات التركية من الأسرى الجزائريين الذين كانوا حوالي 8000 سوى 350 إلى 500 ممن تأثروا بدعاية الجامعة الإسلامية، والعدد لا يمثل إلا نسبة خمسة إلى ثمانية بالمائة من مجموع هؤلاء الأسرى، وكانت فرنسا على ما يبدو متخوفة من ذلك حيث أوصى الجنرال "أوبرت Aubert" بعدم نشر قوات مغربية في الشرق خوفا من تأثرهم بأفكار الجامعة الإسلامية³³.

كما استهدفت الدعاية الألمانية التركية المجند الجزائري في صفوف القوات الفرنسية، حيث أصدر الملازم "بوكابوية" كتابا سماه "الإسلام في الجيش الفرنسي" L'Islam dans l'armée française³⁴ يحرض فيه المجندين الجزائريين على شق عصا الطاعة، ويعرض كذلك حال المسلمين والخدمة العسكرية في صفوف الجيش الفرنسي، وكان محور الدعاية الألمانية التركية إبان الحرب العالمية الأولى هو الدعوة إلى الجامعة والوحدة الإسلامية ضد المحتل المسيحي، إلا أن الاستجابة المحتشمة من طرف الجزائريين للدعاية التركية الألمانية، لم تمنعهم من إبداء تعاطفهم الطبيعي مع الأتراك، وتتبع أخبارهم، وذلك رغم انقطاع الاتصالات، كما زاد من حنقهم تزييف الحقائق من طرف الصحف الفرنسية، وما كان أمامهم إلا تقصي الحقائق بطرقهم الخاصة، وذلك عبر تلك الصحف القليلة التي كانت تدخل بشكل سري، أو عن طريق بني مزاب من خلال تنقلات التجار الميزابيين مستغلين العلاقات الروحية بين ليبيا وغرداية، وتحركات هؤلاء التجار المهرة الذين كانوا يجلبون الأخبار والصحف، التي كانت تصل من غرداية إلى العاصمة برا.

ولقد صادرت السلطات الفرنسية العديد من الصحف والمناشير، في تلك الحرب الإعلامية غير المتوازنة، إلا أن فرنسا لم تستطع مقاومة الأدب الشعبي، والكلمة الملتزمة عبر العديد من القصائد والأشعار الممجدة للأتراك والألمان التي كانت تمدح من سمته "الحاج غليون"، وكانت تقصد بذلك الإمبراطور الألماني "غليوم الثاني Guillaume II" والذي منحه هالة مهداوية خلاصية، ومن أجمل وأشهر هذه القصائد قصيدة "هاي هاي، كي نعلموا، حاج غليوم يطلع سعدو" في تمجيد الإمبراطور الألماني، هذه القصيدة التي أصبحت علامة مسجلة في الأرشيف

الأمني الفرنسي في ذلك الوقت ،والتي كانت تكتب هكذا "Kinamélou"، حيث كان يتغنى بها بعض المداحين والمغنيين ،لكن فرنسا تتبعتهم ومنعتها منعاً باتاً³⁵.

ولهذا الشأن منع الحج منعاً باتاً طول فترة الحرب، باستثناء تلك الرحلات الخاصة التي ذكرناها أنفاً، بدعوى انقطاع المواصلات، وقلة وسائل النقل وحالة اللأمن في البحار، فأغلب حكام مستعمرات الشمال الإفريقي كانوا متحمسين لقرارات المنع، خوفاً من أفكار الجامعة الإسلامية، عبر عن ذلك بشكل جلي الحاكم العام الفرنسي في الجزائر "ليتود Lutaud"، والمقيم العام الفرنسي بتونس "غبيريل ألابوتيت Gabriel Alapetite" باعتبار أن الحج يسهل عمل دعاة الجامعة الإسلامية، خاصة في تلك الظروف الاستثنائية، بينما كان المارشال "ليوتي" أكثر خبثاً ومكراً كما هي طبيعته، فلم يصدر مرسوماً بالمنع، لكنه أوعز إلى حكام المقاطعات والنواحي الاستعانة بالقياد والوجهاء تثبيط الناس عن الحج بدعوى عدم جود وسائل النقل التي استولى عليها الحلفاء، وبأن الحجاج سوف ينتظرون بلا طائل في الموانئ³⁶.

لكن ما زاد في حيرة الجزائريين وتباين مواقفهم بعد اندلاع الثورة العربية، وتحالف أمير الحجاز مع حلف الوفاق ضد الأتراك خاصة، بعدما سمعوا بمعارك قرب المدينة المنورة، وراجت أخبار حول قبيلة مكة من طرف الأتراك³⁷، هذا ما أثر كثيراً على سمعة الشريف حسين، حيث أن الكثير من الجزائريين لم يستسيغوا ثورته على الأتراك، وذلك ما عكس موقفهم السلبي منه أثناء الصراع السعودي الهاشمي، وحتى سي "قدور بن غبريط" أعلن إجماع علماء الجزائر رفض الشريف حسين تولي إشراف وخدمة الحرمين الشريفين، ونقل شرف خدمة الحرمين الشريفين إلى السلطان العثماني وهذا بعد انتهاء الحرب³⁸.

لكن كل طرف استمات في محاولة التأثير على الجزائريين ،ففي سنة 1916 كانت هناك خلية إستعلامية ومخابراتية في جزيرة اسبانية للتجسس على فرنسا، وكانت تتلقى مساعدات استخباراتية من طرف عبد الملك بن الأمير عبد القادر الذي شارك في ثورة الريف بالمغرب³⁹، كما أصدر مفتي المالكية في الحرم المدني وهو من أصل جزائري فتاوى ضد فرنسا بالتنسيق مع "محمد رشيد رضا" و"فؤاد باي"

والتوصية بوجوب الوقوف مع السلطان التركي.⁴⁰ وتم توزيع منشور في الحجاز يأمر بالتصدي لأعداء الإسلام الراغبين في احتلال جزيرة العرب والقضاء على الدين الإسلامي، ومحاولتهم تحطيم الكعبة ونقل الحجر الأسود إلى متحف اللوفر بفرنسا⁴¹، كما انتشرت في الأوساط المزابية أخبار مفادها قدوم سليمان الباروني، وأعطيت أوامر بوجوب تخزين المؤن والاستعداد للأسوأ.

ولم تبق فرنسا مكتوفة الأيدي، فلقد رأت طول فترة الحرب أنه من المناسب منع الحج جملة وتفصيلا، كما حذرت من نشاطات الجامعة الإسلامية انطلاقا من القاهرة والقسطنطينية والحجاز⁴². ولذلك قرر الكولونيل "بريمون" بمعية "قدور بن غبريط" والرائد "قاضي" في رحلتهم الرسمية سنة 1916، بعدم التوقف في الموانئ المصرية، وذلك منعا لتأثر الحجاج الجزائريين بنظرائهم المصريين الذين كانوا موالين للحكومة التركية، ومتأثرين بالدعاية الألمانية⁴³.

وتم الرهان بعد ذلك على تقليص مدة إقامة الحجاج في الحرمين قدر الإمكان، فكانت سرعة وسهولة الحج، تعني بالنسبة للجنة الوزارية للشؤون الإسلامية CIAM، تطمين العوائل في الجزائر على سلامة الحجاج، وكذلك ضمان عدم تعرضهم لأخطار الدعاية الألمانية أو الجامعة الإسلامية⁴⁴.

كما سوف يحاول الحاج حمدي ممثل فرنسا الشرفي وقيم دار إقامة الحجاج بالحرمين، تقليص مدة إقامة الحجاج الجزائريين أقل مما ينبغي، وذلك لتفادي تعرضهم لتلك الأفكار التي كانت ترى فيها فرنسا بأنها معادية لمصالحها وخطيرة ترهن الأمن والاستقرار بالجزائر. ومن أجل ذلك دعى "الحاج حمدي" إلى نقل الحجاج بالسيارات والحافلات بعد دخولهم مباشرة في الخدمة، ودعمت جمعية الحبوس هذا المسعى، رغم أن بعض الحجاج رفضوا الأمر إلا أنهم استسلموا في الأخير، وذلك بعدما أدركوا أن السفن في رحلة الإياب لا تنتظر المتخلفين منهم⁴⁵.

لكن الدعاية الألمانية عرفت نهايتها القصيرة مع نهاية الحرب وهزيمة ألمانيا، وتأثر دعاة الجامعة الإسلامية المرتبطين بشكل خاص بتركيا، لكن الدعوة كفكرة لم تنته ولم تخبت كما كان منتظرا، وسوف تعرف في فترات العشرينات

والثلاثينات أقصى تجلياتها، بعد المخاض العسير الذي كان يمر به المشرق، ودخوله متأخرا مرحلة الحماية والانتداب كنتيجة من نتائج الحرب.

3-فكرة الجامعة الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى بين التمكن والأفول:

والأمر الجلل الذي أربك الجميع، هو بلا شك مسألة الخلافة، التي تم إلغاؤها بشكل رسمي من طرف كمال أتاتورك، ونتيجة لذلك ساد في العالم العربي الإسلامي حالة من الذعر تخللها جدل دغائي إيديولوجي، كما روج البعض لبدايل تمثلت في البداية إلى دعوة انتقال الخلافة للبيت الهاشمي الحاكم في الحجاز، رغم برودة الحليف البريطاني حيال هذا الخيار، أمام تناقص شعبية الشريف حسين في العالم العربي الإسلامي بوصفه صنيعة بريطانية، في نفس الوقت تم الترويج لبعض البدائل الأخرى، تمثلت في الملك المصري، هذا ما أدى بالشيخ "علي عبد الرازق" بتأليف كتابه الشهير "الإسلام وأصول الحكم" الذي أثار الدنيا لم يعقدها، وأقبر المشروع المصري، ومن جهته تحمس المارشال ليوتي المقيم الفرنسي بالمغرب لطرح الملك المغربي لتولي هذا المنصب الخطير، لكن فرنسا نفسها لم تكن متحمسة لهذا الخيار.

وأمام هذه التحديات الكبرى بظهور الأطماع الصهيونية في فلسطين، واحتدام الصراع بين آل سعود والهاشميين في الحجاز، كل ذلك زاد في حدة خطاب دعاة الجامعة الإسلامية الذين حملوا على عاتقهم هم الأمة الإسلامية، التي لم تعرف في تاريخها تهديدا كما عرفت في هذه الفترات العصيبة وبذلك سوف يزداد هذا الخطاب حدة ويزداد نشاط دعاة الجامعة الإسلامية، ويتجلى ذلك عند الشيخ "محمد رشيد رضا" والمصلح الكبير "شكيب أرسلان"، ويزداد حدة وتطرفا عند الشيخ "الأمين الحسيني" حامل الهم الفلسطيني أينما حل وارتحل.

لكننا لا نعلم تأثير هذه الأفكار بشكل مباشر على الحجاج الجزائريين، بعدما أصبح الشرق على العموم والحجاز على الخصوص يغلي كالمرجل من وقع الأحداث، خاصة أن هذه الفترة عرفت تنظيم مواسم الحج بأعداد قليلة من الحجاج بسبب الحروب في الحجاز، وكذلك بسبب قلة المواصلات وفشل جمعية حبوس الحرمين

عن تنظيم مواسم الحج بشكل رسمي، بعدما اشتكت من قلة السفن أو عدم توفرها وكذلك قلة المسجلين الراغبين في الحج بسبب غلاء المعيشة ودخول العالم ظرفية الأزمة الاقتصادية العالمية، وبالإجمال يمكن القول أنه لم تنظم مواسم الحج بالمقاييس العادية منذ 1914م (1332هـ) الذي شارك فيه حوالي 1141 حاج جزائري، حتى سنة 1928م (1346هـ) والتي عرفت مشاركة حوالي 1103 حاج جزائري⁴⁶، وهي فترة طويلة وهامة جدا لتحديد تأثير أفكار الجامعة الإسلامية، التي امتد تأثيرها لعقد من الزمن بعد ذلك، ثم دخلت مرحلة أفول، رغم أن فترة الثلاثينات عرفت تأثيرات أفكار الإصلاح والجامعة الإسلامية على الجزائر خاصة بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة العلامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس سنة 1931، والذي كان لإقامته في الحجاز مع زملائه البشير الإبراهيمي والطيب العقبي... أثرا في تحديد مسارهم الإصلاحي المتأثر بأفكار الجامعة الإسلامية مع شيء من الخصوصية الجزائرية، حيث أخذت الحركة الإصلاحية بعدا جزائريا محضا بدون فك الارتباط نهائيا مع المشرق، ونلاحظ ذلك بشكل جلي في الصحافة الإصلاحية عبر جرائد الشهاب والبصائر الناطقة باللغة الفرنسية والدفاع الناطقة باللغة الفرنسية، التي غطت بشكل كبير الأحداث والتطورات في الشرق.

وسوف يستغل دعاة الجامعة الإسلامية مواسم الحج لبيت أفكارهم ودعواتهم، ومحاولة استنهاض الهمم، والتحذير من خطر المؤامرات الاستعمارية والصهيونية ضد العالم الإسلامي، فقد ألقى الشيخ "رشيد رضا" خطبة نارية في صعيد عرفة، ثم التقى بعدها "سي قدور بن غبريط"، وقد قام هذا الأخير بإبلاغ السلطات الفرنسية بالمخاطر السياسية وخطورة رشيد رضا، الذي حسب بن غبريط قام بتوزيع منشورات على حجاج الشمال الإفريقي سماها منشور "متحف لوفر" أدعى فيه أن فرنسا تخطط لهدم الحرمين الشريفين وسرقة الحجر الأسود، وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم، ونقله إلى متحف "اللوهر" بباريس⁴⁷.

وكما نرى كان موسم الحج أحسن توقيت لنشر الأفكار أو إثارة الفتن والقلق، ففي سنة 1928 صعد منبر المسجد النبوي قبل خطبة الجمعة رجل

أعرابي أخذ يبت دعاوى وأفكار ضد بريطانيا وحلفائها، وندد بأعمالها في جزيرة العرب، وأشاد بسلاطين آل عثمان، فحاول الحرس إنزاله، فرد عليهم بقوة فأردوه قتيلا، وتبع ذلك هرج ومرج وتدافع في الحرم⁴⁸ إلا أن هذا الحدث العرضي إن دل على شيء دل على خطورة الخطاب السياسي أثناء مواسم الحج، حتى وإن اعتبرنا الحادث معزول. كما حجج "شكيب أرسلان" سنة 1929 وكان له تأثير كبير على الحجاج، رغم أنه تعرض لوعكة صحية ونقل إلى الطائف للاستشفاء.⁴⁹

لكن ما هو مؤكد، أن العديد من دعاة الجامعة الإسلامية والإصلاح كانوا يتخذون من مواسم الحج فرصة للقاء والتنسيق في ما بينهم، ورسم خطط للعمل، وكذلك طرح أفكارهم بشكل علني في الحرمين الشريفين، ففي سنة 1936 انعقد مؤتمر إسلامي، كان أبرز المتكلمين فيه "محمد حسين هيكل" الذي دعا إلى الوحدة الإسلامية، وحضر هذا المؤتمر الكثير من الشخصيات الجزائرية الإصلاحية.

وفي سنة 1937 جمع الملك عبد العزيز ممثلي البعثات المسلمة المشاركة في الحج في تلك السنة، وقدم لهم شرحه لمفهوم الإسلام الصحيح وفق المنهج السلفي السني، وأشار كذلك لوجوب دعم القضية الفلسطينية، ودعم اللجنة التي يترأسها "الحاج أمين الحسيني" مفتي القدس في جهاده ضد الصهاينة، وندد بسياسة بريطانيا هناك، لكن ما يلفت الانتباه استثناء الوفد الجزائري عن هذا الاجتماع، لأسباب معروفة لا داعي لذكرها.⁵⁰

وأصبح موسم الحج فرصة لزعماء الإصلاح بالجزائر للاتصال بنظرائهم من علماء ونشطاء المشرق، وتفطنت فرنسا لهذا الأمر، حيث تم إصدار أمر بمراقبة ثلاثة من أعضاء جمعية العلماء سنة 1938 المتوجهة إلى البقاع المقدسة، وهم على التوالي الشيخ "البشير الابراهيمي"، "قابسي بلقاسم بن رابح" و"بوسعيد دالي بن سحنون"، والافتراض أنهم زاهبون في مهمة كلفهم بها الشيخ عبد الحميد بن باديس.⁵¹

وكان من السنن الحميدة التي دأب عليها الشيخ عبد الحميد بن باديس هو توديع الحجاج بعدما يزودهم بالنصائح والإرشادات⁵²، وحتما كان يكلف البعض

منهم ببعض المهمات مثل نقل بعض الرسائل، ويبدو أن ذلك لم يكن مقتصرًا على زعماء الحركة الوطنية في الجزائر، فحتى عبد العزيز الثعالبي كان قد اتفق للقاء بالشيخ الأمين الحسيني في موسم الحج لسنة 1937، ولكن تعذر حضوره في الوقت المناسب فأرسل مبعوثه إلى هناك "سي منصف المستيري" رئيس تحرير جريدة الإرادة لسان حال حزب الدستور القديم.⁵³

وكان حري بالسلطات الاستعمارية أن تخشى من استغلال الحج لأغراض سياسية قد تمس بمصالحها في الجزائر، فلقد نجح زعماء الإصلاح والحركة الوطنية في نسج مجموعة من العلاقات المهمة، مع الكثير من الجمعيات والشخصيات في المشرق على العموم، والحجاز بالخصوص، فلقد أشاد مدير الأمن العام السعودي أمام الحجاج الجزائريين بالشيخ "الطيب العقبي"، بعدما سألهم عنه مطولا، وهذه الشخصية الأمنية الكبيرة لابد أن تكون لها علاقات مؤثرة قد تخدم مصلحة زعماء الإصلاح.⁵⁵

هذه العلاقات أشار إليها تقرير حكومي سنة 1939، الذي ندد باستغلال موسم الحج للدعاية لمختلف الأحزاب والشخصيات، فكل زعماء الحركة الوطنية كانوا يصرون على حضور مراسيم توديع الحجاج، وكان البعض ينتهز الفرصة لتوزيع المناشير على غرار زعماء الإصلاح⁵⁵، لكن فرنسا لم تبق مكتوفة الأيدي حيال ذلك، فقد استطاعت وضع شبكة من الجواسيس ممن اشترت ذممهم، حيث كانوا يزودونها بالأخبار. فقد كان مدير موانئ الحجاز ذا ميل فرنسية، وقام بتزويد فرنسا بمعلومات خطيرة عن نشاطات دعاة الجامعة الإسلامية والقومية العربية⁵⁶، كما تتبعته السلطات الفرنسية بشكل دقيق زيارات المطوفين إلى الجزائر، وراقبت كل تحركاتهم ونشاطاتهم حتى التجارية منها، بعدما راجت معلومات عن نشر هؤلاء لأفكار ودعوات قد تكون مضرّة بالمصالح الفرنسية⁵⁷، كما تم تكليف بعض رجال الدين الرسميين بالقيام بمهام استعلاماتية في الحجاز، على غرار إرسال أستاذ من المدرسة الأهلية بالمحمدية بمعسكر سنة 1933 بمهمة لتقصي الحقائق، وجلب المعلومات حول الصلات التي يمكن أن تكون بين العقيدة الوهابية والسلطة

السعودية وبين علماء الإصلاح في الجزائر⁵⁸، كما قامت كإجراء دعائي بعرض شريط مصور حول فريضة الحج، ولم تنس التوصية بعرضه استثناءً في دور العرض التي يملكها جزائريين أو الأوربيين، ومنع عرضه في دور العرض التابعة لليهود⁵⁹، وذلك مخافة استغلال دعاية الحركة الوطنية لهذا الأمر.

ولم تنس تتبع ومنع جميع المناشير والمطويات ودليل الحاج، مهما كانت صفته البعيدة عن الدعاية، ما لم يتم توزيعه من طرف المؤسسات الدينية الرسمية التابعة لإدارة الاستعمارية، خاصة أن بعض النسخ "دليل الحاج" كانت توزع مجاناً من طرف سلطات العربية السعودية⁶⁰، رغم أنها لم تكن تحمل أي طابع دعائي، كما أمرت بتتبع ومراقبة كل الطلبة الجزائريين المتخرجين من الحجاز أو الأزهر، بحكم أن الأزهر كان يحمل عداً للقوى الاستعمارية، ويندد بسياسة فرنسا الاستعمارية في المغرب العربي، ومثال على ذلك تم الأمر بمراقبة طالب جزائري متخرج من الأزهر يدعى "قازو أرزقي"، بعدما استقر في مصر، ودرس هناك زهاء ربع قرن أراد العودة إلى بلاده والعمل كمدرس في زاوية سيدي عبد الرحمن، ورغم أنه لم يبد عداً للإدارة الاستعمارية، لكن بحكم تكوينه المشرقي وقربه من أفكار الطيب العقبي تم التحفظ عليه والتحذير منه⁶¹، لكن بعد دخول العالم أتون الحرب العالمية الثانية، هدأت بشكل كبير الدعاية للجامعة الإسلامية بعد فشل فكرة إحياء الخلافة الإسلامية وتحقيق مشروع الوحدة الإسلامية، أدى ذلك لظهور أفكار أخرى بالخصوص قومية عربية، أو وطنية استقلالية، رغم محافظة تيار الإصلاح على أفكاره، لكن يحق لنا السؤال هل كان خطر الجامعة الإسلامية بهذا الحجم أم أن السلطات الاستعمارية حاولت تضخيم الأمر لغاية في نفسها؟ وذلك لاستغلال التحذير لتبرير سياسة المنع أو لأسباب انتخابية، داخلية وحول الأمر يقول "دوجاريك Dujaric" ما يلي: "Le fanatisme et le panislamisme se croquent à chaque fois que l'on veut obtenir des crédits".⁶² "التطرف وأفكار الجامعة الإسلامية هذا البعبع الذي يتم إظهاره كل ما أردنا الحصول على الأموال".⁶²

وما يؤكد ذلك ما جاء في رسالة للسفير الفرنسي في السعودية المؤرخة في العاشر جوان 1936، يؤكد فيها بعد سبع سنوات خدمة في الحجاز، أنه لم يلاحظ ما يشير إلى أن الحج قد يؤثر سلبا على الحجاج الجزائريين، وليس صحيحا أنهم بالضرورة يكونون عرضة لتأثيرات الأفكار الشرقية، ويؤكد أن الخطر الحقيقي يأتي من دعاية الشباب الجزائري المتمدرس في المدارس الفرنسية، والذي هاجر ودرس في المشرق، الذين نصبوا أنفسهم مدافعين عن بني جلدتهم. كما شهد السفير في رسالته بأن الملك السعودي يفعل المستحيل لإبقاء الحرمين الشريفين في منأى عن أي دعوى سياسية بعد رفض دعم الوطنيين السوريين حينما أرادوا جعل الحج منبرا لأفكارهم ونشاطاتهم السياسية⁶³.

الخاتمة:

وحصيلة القول أن أصداء النهضة وأفكار الإصلاح والجامعة الإسلامية وصلت إلى الجزائر كغيرها من البلدان العالم الإسلامي، في ظرفية صعبة جدا كانت تمر بها الجزائر بفعل الحرب المعلنة من طرف فرنسا ضد كل ما كان من شأنه أن يربط الجزائريين بهويتهم ولغتهم وتاريخهم وحضارتهم العربية الإسلامية، وكان من المفروض أن يؤثر صدى الإصلاح في الجزائر على جميع الأصعدة، وبالخصوص الحياة الثقافية والاجتماعية، في وقت أرقت دعوات الجامعة الإسلامية الدوائر الإستعمارية، التي كانت ترى في ذلك تهديدا أمنيا خطيرا من شأنه تأليب سكان المستعمرات من المسلمين ضد مصالحها.

وبغض النظر عن التحويل المبالغ فيه حول صدى وخطر أفكار الجامعة الإسلامية إلا أنها كانت تمثل ردة فعل طبيعية للجزائريين بحسبهم العقائدي والديني إزاء وحدة الأمة والأخطار المحدقة بها، والتي كانت تشتد دعوتها أكثر في مراحل معينة كالحرب العظمى، لكن يبقى صدها وتأثيرها حسب زعمنا محدود ومحصور في دوائر معينة، مثلها قوى الإصلاح وشيوخ المتأثرين بالدعوة السلفية بالمشرق أو بعض العناصر التي هربت للخارج وأيدت الأتراك في حربهم ضد حلف الوفاق، لكن هذه الأفكار ضلت بعيدة عن قطاع كبير من الجزائريين. كما لم تتفاعل معها غالبية

الطرق الصوفية التي كانت تدور غالبيتها في فلك السلطة الإستعمارية وكذلك لأسباب مذهبية ودغمائية، كلها كانت أسباب كفيلة لمحدودية تأثيرات هذه الدعوة في الجزائر وإن كان الشق الإصلاحي غير المسيس منها، سوف يجد سبيلا له في الأفكار الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

الهوامش:

- 1- Ageron Charles Robert, Les Algérien musulmans et la France, EDIF2000, Alger, 2010, P908.
- 2- Ibid., P909.
- 3- Ibid., P911.
- 4- Sellam Sadek La France et ses musulmans, Casbah, Alger, 2006, P346.
- 5- Belhamissi, Avec nos Haragas du 19 e siècle, El Watan 19 Déc. 2011.
- 6- Chantre Luc, Pèlerinage sous la troisième république, Revue Cahiers de la méditerranée, N°78, 2009, P2.
- 7- Sellam Sadek, op.cit, P157.
- 8- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية، دار البصائر، الجزائر، 2006، ص392.
- 9- المرجع نفسه.
- 10- Pautremat Pascal, La mission du lieutenant colonel Brémont au Hedjaz 1916/1917, Revue Guerres mondiales et conflits contemporaines, op.cit., P1
- 11- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي ببيروت، ص170.
- 12- مرجع نفسه، ص572.
- 13- Hellal Amar, Le mouvement réformiste Algérien, OPU, Alger, P44.
- 14- Julien André, L'Algérie contemporaine, Casbah éditions, 2005, P173.
- 15- AOM, Lettre du consul de France a Djeddah a M. le président du conseil, 16H84.
- 16- Agéron Charles Robert, op.cit, P310.
- 17- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص113.
- 18- Chiffoleau, Pèlerinage à la Mecque à l'époque coloniale, matrice d'une opinion publique musulmane, IN, Sylvia Chiffoleau, Anna Madœuf, *Les pèlerinages au Maghreb et au Moyen Orient. Espaces publics, espaces du public, Bayreuth, Institut Français du Proche-Orient, 2005. P135.*
- 19- Brunache, Le pèlerinage à la Mecque, Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique du nord, Année 1905, P279.
- 20- AOM, Rapport Guès 1901, 16H83..
- 21- Escande, Le pèlerinage à la Mecque des Algériens pendant la domination Française, Mémoire DEA, Université de Provence, 1992, P26.
- 22- Anonyme, Revue du Monde Musulman, Le panislamisme et panturquisme, Mars 1913, P187.
- 23- Sellam Sadek, op.cit, P168.
- 24- Idem.

- 25- AOM ,Notes sur mon voyage a la Mecque,16H84.
- 26- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، الجزء الثاني، ص102.
- 27- مرجع نفسه، ص114.
- 28- Chiffolleau، op.cit.، 115.
- 29- AOM، 16H89.
- 30- AOM، Pèlerinage a la Mecque، 16H87.
- 31- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص117.
- 32- Meynier Gilbert، L'Algérie révélée، édition El Maarifa، 2010، P512.
- 33- Pautremat Pascal، La politique musulmane de la France au XXe siècle، Maisonneuve et Larose، Paris، 2003.، P181.
- 34- Boukabouya Hadj Abdellah، Les soldats musulmans au service de la France، Librairie Nouvelle de Lausanne، Lausanne، 1917.
- 35- Meynier Gilbert، op.cit.، P620 ، voir aussi Abdelkader Djeghloul IN ، Eléments d'histoire culturelle algérienne.
- 36- Pautremat، op.cit.، P208.
- 37- Meynier، op.cit.، P636.
- 38- AOM، Voyage a la Mecque 1921، 16H85.
- 39- Desparmet، La turcophilie en Algérie، Imprimerie Algérienne، Alger، 1916/1917، p3
- 40- AOM، Rapport sur le pèlerinage 1916، 16H90.
- 41- AOM ، Extrait d'un manifeste répondu en Arabie، 16H90.
- 42- AOM، Pèlerinage، 16H87.
- 43- AOM، Pèlerinage، 16H90.
- 44- Pautremat، op.cit.، P207.
- 45- Ibid.، P225.
- 46- Escande، op.cit.، P165.
- 47- Chiffolleau، op.cit.، P157.
- 48- AOM، Incident survenu au pèlerinage de la Mecque، 16H92.
- 49- AOM، Rapport 1929، 16H84.
- 50- AOM، Renseignement sur le pèlerinage 1937، 4I77.
- 51- AOM، Lettre du préfet M.Bouffét au gouverneur général، 16H84.
- 52- جريدة الشهاب، العدد 2، 102 أبريل 1938.
- 53- AOM، Renseignement sur l'émissaire du Cheikh Etaalbi au pèlerinage de la Mecque، 5I199.
- 54- AOM، Pèlerinage، 16H104.
- 55- AOM، Evolution de l'Islam en Afrique du Nord، 5I202.
- 56- AOM، AOM، Rapport 1936، 16H104.
- 57- AOM، La venue de Moutaouefs Hedjaziens en Algérie، 5I52.
- 58- AOM، 93/4485.
- 59- AOM، 5I52.
- 60- AOM، Propagande en faveur du pèlerinage 1938، 4I77.
- 61- AOM، 4I77.
- 62- Sellam Sadek، op.cit.، P46.
- 63- AOM، 16H104.